

## قيد التصوير

## باسك الخطيب يختتم ثلاثية الحرب

بعد «مريم» و«الأم»،  
يوافك المخرج المعروف  
مقاربة الأزمة بفيلمه  
الجديد «أهل الشمس».  
شريط يزيد فيه جرعة  
العنف والتشويق

## اللاذنية - علي وجيه

الطريق إلى «وادي قنديل» في اللاذقية محفوف بطبيعة لافتة رغم الامتداد العمراني للمدينة. هذا المشوار ما زال ممكناً بعد سنوات الحرب، بل أصبح مفضلاً لدى كثير من السوريين صيفاً. هنا، يحط المخرج باسل الخطيب (1962) الرحال لبضعة أيام خلال تصوير فيلمه الروائي الجديد «أهل الشمس». قام بكتابة السيناريو بنفسه، فيما تصدّت «المؤسسة العامة للسينما» لإنتاجه. «اللوكيشن» خلّة نحل لا تتوقف بين نهر وبحر وغابة. مدير الإنتاج باسل عبد الله يطمئن إلى سير الأمور. مدير الإضاءة جمال مطر ومهندس الديكور وائل أبو عياش ومهندس الصوت محمّد هاشم يعملون بهمة. الخطيب يحدثنا عن الشريط، فيما يعطي تعليماته بخصوص المشهد الليلي الذي تستعدّ له كاريس بشار وميسون أبو أسعد. «هذا استكمال لثلاثية سينمائية عن المرأة السورية في زمن الحرب. بدأنا العمل عليها بفيلم «مريم» (2012، 109 د، إنتاج «المؤسسة العامة للسينما» وشركة «جوى»)، تلاه «الأم» (لم يُعرض بعد. إنتاج المؤسسة العامة للسينما)». يقول الخطيب لـ«الأخبار»، مستطرداً: «المرأة المرتبطة بأنبيل القيم الإنسانية، والقادرة على مواجهة المصاعب، والتضحية في سبيل مبادئها. في «مريم»، كنا أمام حكاية ملحمة وبنية زمنية معقدة تمتد على ثلاث حقب. «الأم» اقترح قصة بسيطة تجمع الأبناء بسبب مرض أمهم. أمّا «أهل الشمس» فيحمل الكثير من التشويق والأحداث المتلاحقة». «ريما» (كاريس بشار) مصوّرة

صحافية تغطّي الأحداث في المناطق الساخنة. ذاكرتها مثقلة بما كابدهته خلال رحلة مضمّنة تقودها إلى زينة (ميسون أبو أسعد) ويوسف (محمود نصر). يرصد الفيلم يوسف الذي ينتقم من أشخاص معينين وحنه لزينة التي تستعد للموت بقرار ما، وعلاقته بوالده المسن (رفيق سبيعي) وصديق عمره «عزّام» (محمد حدّاق). بحثه عن أعدائه وتنقله بين القرى والمغارات. كل ذلك يخلق البنية ويصنع الأحداث الجغرافيا غير محدّدة بدقّة، إلا أنّها شاهد على قرارات الشخوص وتحولاتهم. يشارك في الفيلم أيضاً كل من: جابر جوخدار، علاء القاسم، وائل زيدان وغفران خضور.

إذاً، يبدو أنّ حضور الرجل أكبر هذه المرة. يوافقنا الخطيب، لجيب عن السؤال: هل يشجّع الشريط على الانتقام وأخذ الحق بعيداً عن السلطة والقانون؟ يوضح: «إنها إشكالية قديمة تتعلّق بعلاقة الإنسان بالقانون وتحقيق العدالة. هذا الرجل مدفوع بعاطفته تجاه وطنه ومن بقي من عائلته. سعيه لتطبيق العدالة بيديه يتطلّب ثمناً باهظاً في النهاية. نحن لا ندين ولا نتبنّى، بل نرصد مسار شخص أقدم على فعل ضمن مسوغات درامية وإنسانيّة. على المستوى العام، القانون حاضر بالتأكيد. سيظهر ذلك خلال الفيلم». بعد طرح إنساني بأسلوب شاعري لا يخلو من التعبيرية في الفيلمين السابقين، هل يقدّم «أهل الشمس» جرعة مركّزة من العنف؟ هل تتطلّب مواجهة الهمجية توخّشاً مقابلاً؟ يجيب الخطيب: «المعركة مع الإرهاب مفتوحة ومصيرية. العمل العسكري المباشر سلاح. ذهب الموظفين إلى أعمالهم والأطفال إلى مدارسهم سلاح آخر لا يقلّ تأثيراً. كذلك إنجاز الأفلام وتفاعل المجتمع مع بعضه. تحدّي اليوم صار مصيرياً».

بعد رواي «الرسالة الأخيرة» (2000، 114 د، إنتاج «الشام الدولية»)، صام باسل الخطيب 11 عاماً عن السينما، ليعود بثلاثة أفلام متتالية. بم يقسّر ذلك؟ هل أخذ الوقت الكافي للتفكير بالشريط تلو الآخر؟ يقول: «لا شك في أنّ الفيلم تجربة صعبة تتطلّب كثيراً من التفكير والتحضير. في

## تاركوفسكي والآخرون

تخرج باسل الخطيب من المعهد العالي للسينما في موسكو عام 1987. نسخة بوندرتشوك عن «الحرب والسلام» (1966) نسجت وعيه السينمائي. تاركوفسكي حضر بقوة خلال فترة الدراسة. لاحقاً، اصعب كثيرا بريدلبي سكوت وسكورسيزي وبارنتينو، يقول: «يتوهجون كلما تقدموا في العمر. علمه عكس الكثير من مخرجينا الذين يصابون بالترهل. الجمهور داخل في حساباتهم كذلك. منذ «الرسالة الأخيرة»، حاولت التوجه للجمهور، مع عدم تقديم تنازلات فنية. شعرت بالضح عندما رايت تفاعل البسطاء مع «مريم» في الصالة».

الفنية اللاحقة (بوست بروكشن)؟ يقول: «هذا غير صحيح. يعمل معي جمال مطر كمدير إضاءة وتصوير. هو تلميذ أسماء كبيرة مثل الراحل هشام المالح، وعمره في الدراما السوريّة أكثر من 20 عاماً. أكبر دليل على ذلك حصوله على إحدى

## يميل إلى نص بعنوان «حرائر» لعنود الخالد

الجوائز الثلاث التي نالها «مريم» في «مهرجان مسقط السينمائي» الأخير. بالنسبة إلى «البوست بروكشن»، لا يمكن تحقيق نتيجة



كاريس بشار في مشهد من الفيلم

منه ما لم يكن أساس التصوير صحيحاً ودقيقاً». نسال عن التداخل اللوني المحفوظ والتوليف الذي رأى فيه بعضهم نوعاً من «الكليباتية» في «مريم». يقول: «تباين الألوان جاء مقصوداً بما ينسجم مع كل حقة زمنيّة. بالنسبة إلى التوليف، أجده واحداً من ميزات الفيلم، وأعتقد أنّه جديد على السينما السوريّة. من الطبيعي أن يثير أي عمل فني ردود فعل مختلفة».

بعد تجربة طويلة، ما الذي جلب الخطيب من التلفزيون إلى السينما؟ يفكر قليلاً ثم يجيب: «الخبرة المتراكمة، والمرونة في التعامل مع المشاكل أثناء التصوير. في المقال، كان عليّ التخلّص ممّا علق من آلية التفكير التلفزيونية، بدءاً من الكتابة وانتهاءً بتقطيع المشاهد. هنا، التزم بالورق تماماً على عكس التلفزيون. أحاول التحضير ما أمكن قبل الأكلن الأول». نعلّق بأنّه جلب نجومه أيضاً، فيرد: «لكل مخرج مجموعة يرتاح للتعامل معها. ملائمة الممثل للدور هو المعيار الأوّل بالتأكيد. في «أهل الشمس»، حاولت التعاون مع

أسماء جديدة مثل كاريس بشار والأستاذ رفيق سبيعي الذي يعود إلى السينما بعد انقطاع طويل. هل كان هذا سهلاً تحت سقف الأجرور المعروف في «المؤسسة العامة للسينما»؟ يقول: «بكل صراحة ووضوح، هم عملوا من أجلّي. هذا يشمل بعض الفنّين أيضاً. تعرفه المؤسسة لم تعد منطقية في الوضع الاقتصادي الراهن. طرحت الأمر على الإدارة، وسيتمّ البحث فيه». في فلك الشراكات أيضاً، ماذا عن عمله مع شقيقه تليد وزوجته الناقدة والكاتبة ديانا جبور؟ يبيّن: «تليد كان معي في سيناريو «مريم». افتقدت وجوده في ما بعد. رغم انشغاله، يقرأ تليد النسخة الأخيرة من النص ويقدم اقتراحاته. زوجتي ديانا شريكتي حياتياً وفنياً. هي المستشارة الدرامية في «أهل الشمس» و«مريم»، فيما تولّى الاستشارة في «الأم» نديل صالح». ماذا بعد «أهل الشمس»؟ يجيب الخطيب: «لا شيء واضح سينمائيّاً. في التلفزيون، أقرأ نصّين ينبشأن في التاريخ السوري، أحدهما بعنوان «حرائر» لعنود الخالد. قد يكون هو مسلسلي المقبل».

السينما الإيرانية أن تكون حكرأ على أفلام تحظى بتأييد التيار المتشدد، فالسينمائيون المستقلون ملأوا من انتشار أفلامهم على الأقراص المدمجة. ومع منح «لست غاضباً» ترخيصاً للعرض في الصالات الإيرانية، ربح تيار السينما المستقلة جولة في معركة مع الرقابة، بينما خسر جانب آخر مع الموافقة على حذف 20 دقيقة تتعلق بمشاهد إشكالية في الشريط. ورغم ذلك، لا تزال المعركة مستمرة مع مطالبية المتشددين داخل البرلمان وخارجه بمنع الفيلم من العرض.

وجوه الإشكال يكمن في أن مقص الرقابة بيد حكومة إصلاحية تعتبر حرية السينمائيين في تناول القضايا المجتمعية كافة ضمن صلب مشروعها في مجال الثقافة والفن، لكنها مرغمة على تقديم التنازلات لمنع وصول هذه الملفات الإشكالية إلى السلطة القضائية التي تميل إلى المحافظين.

جدل واسع بين وزير الثقافة علي جنّي وأعضاء اللجنة الثقافية في البرلمان الإيراني. شدد البرلمان على حذف مقاطع من الفيلم، بينما جاء ردّ جنّي بعد اللقاء مباشرة بمنح العمل رخصة قانونية للعرض في صالات السينما. هكذا، احتدم النقاش مجدداً تحت قبة البرلمان، وهو نقاش كان له أن يكون أكثر متعة لو أن البرلمانين شاهدوا الشريط قبل مناقشته على حد تعبير الصحافة. بالنسبة

## عرض «لست غاضباً» الذي يتناول الفترة التي تلت فوز أحمددي نجاد

إلى عدد كبير من السينمائيين المستقلين، تدور المعركة على ساحتين: واحدة تحت قبة البرلمان، وأخرى على أبواب صالات السينما. من جهة أخرى، لا يمكن صالات

المخرجة الإيرانية رخشان بني اعتماد التي شاركت في المسابقة الرسمية في «مهرجان البندقية» هذه السنة، بفيلم «حكايات» حاصدة جائزة أفضل سيناريو. لم يعد السينمائيون المستقلون الإصلاحيون في مواجهة مع مقص الرقيب كما في السنوات الفائتة. لقد أعادت «وزارة الثقافة والإرشاد» الاعتبار إلى السينما المستقلة حينما أعادت افتتاح دار السينما الذي أغلق لسنوات على أيدي المتشددين في عهد الرئيس السابق أحمددي نجاد. وفيما يعتبر السينمائيون أن ما حصلوا عليه مع وصول الرئيس المعتدل حسن روحاني إلى الحكم ما هي إلا حقوق لا امتيازات، يرى التيار الأصولي أن الحكومة الجديدة منحت الضوء الأخضر لعودة «تيار الفتنة» من الشاشة الكبيرة. «لست غاضباً» الذي يتناول حياة الشباب الإيراني خلال فترة الاعتراض على فوز أحمددي نجاد في الانتخابات الرئاسية عام 2009، كان سبباً لإثارة

## zoom

## السينما المستقلة تسجل انتصاراً في إيران

## محمد الامين

يطلق المحافظون في إيران تسمية «تيار الفتنة» على ناشطي التيار الإصلاحي الذين رفضوا نتائج الانتخابات الإيرانية عام 2009. ويضم التيار سينمائيين نبذتهم المؤسسات السينمائية الرسمية وأقصتهم عن امتيازاتها. وقد تزامنت عودة الإصلاحيين إلى الحكم مع عودة «ثيوري الفتنة» من المخرجين المشاغبين إلى واجهة الحدث السينمائي عبر مشاركة أفلامهم في المهرجانات الدولية المرموقة، من دون أن يتعرضوا للمساءلة والمضايقة. البداية كانت مع فيلم «لست غاضباً» للمخرج الإيراني رضا درميشان الذي مثل إيران في الدورة الأخيرة من «مهرجان برلين السينمائي»، ووصفته صحافة التيار الأصولي المتشدد بـ«المسوغ لتيار الفتنة». الاعتراضات نفسها طاولت